

التحرير والتنوير

أغراض هذه السورة .
والزيادة الخلطة آداب ومن . للنساء الرجال معاشرة أحكام من كثيرا الأغراض من شملت A E .
وأول ما نزلت بسببه قضية الزوج بامرأة اشتهرت بالزنى وصدر ذلك ببيان حد الزنى .
وعقاب اللذين يقذفون المحصنات .
وحكم اللعان .
والتعرض إلى براءة عائشة رضي الله عنها مما أرجفه عليها أهل النفاق وعقابهم والذين شاركوهم في التحدث به .
البيوت غير المسكونة .
وآداب المسلمين والمسلمات في المخالطة .
وإفشاء السلام .
والتحريض على تزويج العبيد والإماء .
والتحريض على مكاتبهم أي إعتاقهم على عوض يدفعونه لمالكيهم .
وتحريم البغاء الذي كان شائعا في الجاهلية .
والأمر بالعفاف .
وذكر أحوال أهل النفاق والإشارة إلى سوء طويتهم مع النبي صلى الله عليه وسلم .
والتحذير من الوقوع في حبال الشيطان .
وضرب المثل لهدي الإيمان وضلال الكفر .
والتنويه ببيوت العبادة والقائمين فيها .
وتخلل ذلك وصف عظمة الله تعالى وبدائع مصنوعاته وما فيها من منن على الناس .
وقد أردف ذلك بوصف ما أعده الله للمؤمنين وأن الله علم بما يضمه كل أحد وأن المرجع إليه والجزاء بيده .
(سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينت لعلكم تذكرون [1]) يجوز أن يكون (سورة) خبرا عن مبتدأ مقدر دل عليه ابتداء السورة فيقدر : هذه سورة . واسم الإشارة المقدر يشير إلى حاضر في السمع وهو الكلام المتتالي فكل ما ينزل من هذه السورة وألحق بها من الآيات فهو من المشار إليه باسم الإشارة المقدر .
وهذه الإشارة مستعملة في الكلام كثيرا .

ويجوز أن تكون (سورة) مبتدأ ويكون قوله (الزانية والزاني) إلى آخر السورة خبراً عن (سورة) ويكون الابتداء بكلمة (سورة) ثم أجري عليه من الصفات تشويقاً إلى ما يأتي بعده مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم " كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم " .

وأحسن وجوه التقدير ما كان منساقاً إليه ذهن السامع دون كلفة فدع عنك التقادير الأخرى التي جوزوها هنا .

ومعنى (سورة) جزء من القرآن معين بمبدأ ونهاية وعدد آيات . وتقدم بيانه في المقدمة الثامنة من مقدمات هذا التفسير .

وجملة (أنزلناها) وما عطف عليها في موضع الصفة ل (سورة) . والمقصود من تلك الأوصاف التنويه بهذه السورة ليقبل المسلمون بشراشرهم على تلقي ما فيها . وفي ذلك امتنان على الأمة لتحديد أحكام سيرتها في أحوالها .

ففي قوله (أنزلناها) تنويه بالسورة بما يدل عليه (أنزلنا) من الإسناد إلى ضمير الجلالة الدال على العناية بها وتشريفها . وعبر ب (أنزلنا) عن ابتداء إنزال آياتها بعد أن قدرها الله بعلمه بكلامه النفسي . فالمقصود من إسناد إنزالها إلى الله تعالى تنويه بها . وعبر عن إنزالها بصيغة الماضي وإنما هو واقع في الحال باعتبار إرادة إنزالها فكأنه قيل : أردنا إنزالها وإبلاغها فجعل ذلك الاعتناء كالماضي حرصاً عليه . وهذا من استعمال الفعل في معنى إرادة وقوعه كقوله تعالى (إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم) الآية .

والقرينة قوله (وفرضناها) . ومعنى (فرضناها) عند المفسرين : أوجبنا العمل بما فيها . وإنما يليق هذا التفسير بالنظر إلى معظم هذه السورة لا إلى جميعها فإن منها ما لا يتعلق به عمل كقوله (الله نور السماوات والأرض) والآيات وقوله (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة) .

فالذي أختاره أن يكون الفرض هنا بمعنى التعيين والتقدير كقوله تعالى (نصيباً مفروضاً) فقوله (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له) . وتعدية فعل (فرضنا) إلى ضمير السورة من قبيل ما يعبر عنه في مسائل أصول الفقه من إضافة الأحكام إلى الأعيان بإرادة أحوالها مثل (حرمت عليكم الميتة) أي أكلها . فالمعنى : وفرضنا آياتها . وسنذكر قريباً ما يزيد هذا بيانا عند قوله تعالى (ولقد أنزلنا إليكم مبینات) وكيف قوبلت الصفات الثلاث المذكورة هنا بالصفات الثلاث المذكورة هنالك .

وقرأ الجمهور (وفرضناها) بتخفيف الراء بصيغة الفعل المجرد . وقرأه ابن كثير وأبو عمرو (وفرضناها) بتشديد الراء للمبالغة مثل نزل المشدد . ونقل في حواشي الكشاف عن

